

حَدِيثُ الأُخُوَّةِ وَالصَّدَاقَةِ

الأُخُوَّةُ فِي الدِّينِ: مَعْنَاهَا، وَكَيْفَ نَرْتَقِي بِهَا؟

الحلقة الثانية

الشيخ جهاد الاسدي

نشر

قناة احاديث الدين والحياة



حديث الاخوة والصداقة

الحلقة الثانية

نشر: احاديث الدين والحياة (٢٠٢٠ - ١٤٤٢)

<https://www.facebook.com/deenwahayat>

<https://t.me/deenwahayat>



بسم الله الرحمن الرحيم

تركز هذه الأوراق على بعض إشكاليات الأخوة والصداقة المرصودة في واقع حياتنا، و تحاول ان تقدم الحلول اعتمادا على التوصيات الدينية، والخبرات والتجارب البشرية.

ابتعدت عن الخوض في المسائل النظرية، التي تناسب الأروقة العلمية كما استعملت لغة سهلة لتكون متاحة للوعي العام.

أتمنى ان تكون مورد نفع، والله سبحانه اسأل القبول وهو ولي التوفيق.

جهاد الاسدي

المحتوى

اضغط للوصول:

[الاصالة](#)

[فماذج ..](#)

[واقعنا اشكالي ..:](#)

- [أولا: المعرفة](#)
- [ثانيا: النفس](#)
- [ثالثا: التشخيص](#)

الاصالة

في الحلقة السابقة^١ تحدثنا عن الاخوة في الرحم والنسب.

نتقدم الان خطوة ليكون حديثنا عن اخوة من نوع آخر..

الاخوة في الدين.

اخوة في الدين؟! ما معنى ذلك؟

يقول الله سبحانه في كتاب الهدى، القرآن الكريم: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)^٢.

١ يمكنكم الحصول على الحلقة الأولى من خلال الرابط: <https://bit.ly/30WttBp>

اخوة الرحم معروفة، ان يشترك بالأب والام او بأحدهما.

ما تفسير الاخوة في الدين؟

أتعلمون .. ان من روائع القرآن والسنة انهما يتحدثان عن أمور غائبة عنا، سبق حصولها او هي حاصلة او سوف تحصل.

فيفتحان امامنا افاق معرفة غير ممكنة دونهما.

لنستمع للحوار بين الامام محمد الباقر (ع) مع احد أصحابه حول الموضوع، يقول جابر الجعفي:

- قال: تنفّستُ بين يدي أبي جعفر (عليه السلام) ثمّ قلت : يا ابن رسول الله : أهتمُّ من غير مصيبة تصيبني أو أمر نزل بي حتّى تعرف ذلك أهلي في وجهي ويعرفه صديقي.

- قال: نعم يا جابر.

- قلت: ممّ ذاك يا ابن رسول الله؟.

- قال: وما تصنع بذاك؟.

- قلت: أحبُّ أن أعلمه.

- فقال: يا جابر إنّ الله خلق المؤمنين من طينة الجنان وأجرى فيهم من ريح روحه، فلذلك المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأُمّه، فإذا أصاب تلك

الأرواح في بلد من البلدان شيء حزنت عليه الأرواح لأنّها منه)^٣.

لاحظوا، كيف ان هذا المؤمن يتأثر تأثراً واضحاً يصل حد الهم الظاهر على الوجه، بدرجة ملفتة للآخرين، منشأ ذلك التأثير هو الترابط بين المؤمنين، ترابطاً حقيقياً لا فرضياً.

و عن الامام الصادق (ع)، انه قال: (إنما المؤمنون إخوة بنو أب وأم ، وإذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون)^٤.

فكما ان الصلب والرحم اصل للأخوة، فكذلك الدين اصل لها، اذ ان معدن المؤمنين واحد، تماماً كما ان رحم الاخوة وصلبهم واحد، الاخوة بين المؤمنين على حد تعبير الامام هي بمستوى اخوة الاب والام، وهي اشد واثق درجات الاخوة على الاطلاق.

وحدة الأصل في المؤمنين، ووحدة طينتهم، تفيد تشاكلهم ومماثلهم في سماتهم وشمائلهم وخصائصهم.

٣ المحاسن، البرقي ص ١٩٤.

٤ الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢ ص ١٦٥.

اخوة الدين تعني تشاركا في الجانب الارقى من تكوين الانسان، وهو الجانب الروحي والنفسي. بل هو في الحقيقة ما يمتاز به الانسان عن بقية المخلوقات، والا فالجسد الإنساني لا يفترق كثيرا عن أجساد بقية الحيوانات ان لم يكن لكثير من الحيوانات أجساد ارقى واقوى واجمل من جسد الانسان.

ثم .. ما الذي يترتب على اخوة الايمان تلك؟

يترتب عليها، وينتج منها، ان هناك حقيقة لابد ان يعيها كل مؤمن، وهو انه بإيمانه دخل في اسرة، وكل افرادها اخوة له، اصبح عقدة في شبكة وليس مجرد كائن معزول منقطع.

هذا النمط من الاخوة، حيث كان يمثل رابطة حقيقية وليس مجرد رابطة عابرة قد تمليها ظروف واغراض وغايات مؤقتة، كرابطة وشراكة تجارية او دراسية او ترفيهية.

هي شراكة دائمة مادام الايمان وما استمر.

تلك الشراكة تمثل سندا يرتكز اليه المرء لشق طريقه في هذه الحياة، ويعتمد عليه لمواجهة مختلف صروفها وتقلباتها ومصاعبها.

نماذج..

ولقد جنى المؤمنون نتيجة تلك الرابطة من الخير الكثير، بعضه مشهود لنا، وبعضه غير مشهود وانما عرفناه بواسطة اخبار الصادقين المعصومين ائمتنا (ع).

فمن المشهود، ما نراه من تراحم وتوادد بين المؤمنين، يعين الغني منهم الفقير، ويتداعى للسهر على راحة المريض منهم الصحيح، ويتعاضد الجماعة منهم لدفع مكروه او سد ثغرة او تحقيق منفعة.

خذ مثلاً، لا يشك فيه منصف، ما شهدته السنوات الأخيرة من زحوف بملايين الأشخاص في مواسم زيارة سيد الشهداء (ع)، وخصوصاً زيارة

الأربعين، انظر كيف يقف المؤمنون كتفا بجانب كتف، وذراعا موصولا بذراع،
وقلبا متصلا بقلب.

بتلك الروح الأخوية التي لا يسع هذه الأوراق توصيف مشاهدتها
ومظاهرها، استطاعوا ان يضربوا أروع الامثال لحركة هائلة من الحشود
البشرية، تقطع المئات من الاميال، استطاعوا ان يأمنوا كل مستلزمات تلك
الحركة، من احتياجات مختلفة، دون ان يسجل حادث يذكر.

انها لمعجزة.. صنعتها قوة الاخوة حين تتفجر، رابطة حديدية لا تخرق.

ولولا تلك الرابطة، ولولا ذلك الحب الذي يخيم على تلك الحركة، لما كان
لها ان تكون.

فما اجمل الاخوة! وما اثمرها!

فهذا مثل لما هو مشهود، واما ما اخبر به ائمتنا، فنأخذ نموذجا له، يحدث

بن مهزيار:

(يا بن مهزيار لولا استغفار بعضكم لبعض لهلك من عليها الا خواص الشيعة التي تشبه أقوالهم أفعالهم)^٥.

فهل يكون الاستغفار الا لأجل الاخوة، ومن هنا ينكشف لنا عظم نعمة الاخوة ونعمة الاخوة المستغفرين.

ومما ورد في طريقة الاستغفار وفضله عن النبي (ع) : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قال اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن خلقه الله منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة حسنة ومحا عنه سيئة ورفع له درجة)^٦.



٥ دلائل الامامة، محمد بن جرير الطبري، ص ٥٤٢.

٦ جامع أحاديث الشيعة، ج ١٥، السيد البروجردي، ص ٣١٧

واقعنا اثنكالي ..

اذا كانت العلاقة بين المؤمنين هي اخوة، واخوة حقيقية، فلماذا لم تنعكس في اوساطهم، لماذا نجد الاختلال في العلاقة بينهم، بنظرة واقعية نجد ان الثقة مهزوزة، وان التشاحن منتشر، وان التقاطع سائد، وان الحقد حاضر.

لنكن واقعيين ولنقيم بإنصاف اليس الامر ذلك؟؟.

كيف لنا اذن ان نفسر هذه المفارقة بين الواقعيين، واقع الاعضاء المتحدة كما يصفه الاسلام، و واقع الأعضاء المتفرقة كما نشهده على الارض!.

هذه المفارقة والاختلال شأنه الكثير من المفارقات والاختلالات، ترجع الى
ثلاثية، مترابطة متواشجة، وهي ثلاثية: المعرفة، النفس، التشخيص.



أولاً: المعرفة

في الحديث المروي عن النبي (ص): (المؤمن أخ المؤمن كالجسد الواحد إن اشتكى شيئاً وجد ألم ذلك في سائر جسده)^٧.

والذي يبدو من حديثه صلوات الله عليه، انه بصدد توصيف واقع حال العلاقة بين المؤمنين، وتنبيه المؤمنين والافات نظرهم الى ان بينهم تشاكلا وان كل واحد منهم يترابط مع الاخرين ولا ينفصل عنهم، ولعل ذلك التنبيه جاء لدفع الغفلة عن هذه الحقيقة، حقيقة الاخوة.

فما اكثر ما نغفل عن الحقائق من حولنا، فنحتاج الى من ينبهنا لها، ويلفت نظرنا حولها، وليست الاخوة استثناء من طبيعة الغفلة الجارية فينا نحن البشر.

قصتنا مع الغفلة عن الاخوة، او الجهل بها حتى، كقصة شخص له اخ من ابيه وامه ولكنه يجهل وجوده، فتراه محروما من التواصل معه، ومن هنا فهو بحاجة الى من يعلمه بوجود اخ له، ثم يرشده لطريقة التواصل معه،

٧ الاختصاص، الشيخ المفيد، ص ٤٤.

وهذا ما قام به القرآن الكريم والنبي واهل بيته، حين بينوا ان المؤمنين اخوة.

ولعل بسبب ذلك ورد في كثير من النصوص الحث على اخبار الأخ بالمحبة، فمن دون اخبار اخيك بانك تحبه يبقى غير عالم بمحبتك له، ما يجعل الجهل حاجزا لبناء علاقة التواصل والتقارب بينكما، بينما حين تخبره بمحبتك له فانك تؤسس للتواصل والتقارب فيما بينكما، ومن تلك النصوص مثلا: (رسول الله (ص) : (إذا أحب أحدكم صاحبه أو أخاه فليعلمه)^٨.

وعن الإمام الصادق (ع) : (إذا أحببت رجلا فأخبره)^٩.

وعن الامام الصادق (ع) أيضا انه كان في المسجد فقال له بعض جلسائه : (والله إني لأحب هذا الرجل ، قال له أبو جعفر (ع)، ألا فأعلمه ، فإنه أبقى للمودة وخير في الألفة)^{١٠}.

لاحظوا أيها الاعزة قول الامام (ع): (ابقى للمودة وخير في الالفه)، هي تشير بوضوح الى دور الاخبار بالمحبة في تعمير المودة وبالتالي الصلة.

٨ المحاسن، البرقي، ج ١ ص ٣٢٦.

٩ الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٦٤٤.

١٠ المحاسن، البرقي، ج ١ ص ٣٢٦.

الحل اذن يكمن في رفع الجهل بالاخوة بين المؤمنين، فكل مؤمن بحسب ما اشارت اليه النصوص المتقدمة هو اخ، او بالأحرى هو مشروع اخوة، وتنمية وتحقيق هذا المشروع يتوقف علينا نحن، ومن اهم الخطوات في تحقيقه هي العلم بالمحبة، والاعلام بها.

اذا أحببت اخا من اخوتك فاخبره بذلك، اعلمه بانك تحبه، ليكون ذلك سببا لتقوية المودة بينكما.



ثانياً: النفس

النفس الإنسانية خلق بديع، خلق عجيب ..

اتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

النفس بيت يتنافس فيها التقوى والفجور " وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا () فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا "'' ولكل واحد من هذين المتنافسين اتباع، وحالات، وجنود، وأدوات، ووسائل وغايات، والجميع يعيش في ذلك البيت.

دروب النفس وتجلياتها وحالاتها ومشاعرها وانفعالاتها وارتباطاتها ومراتبها متنوعة متشعبة واسعة، كأشد ما تكون السعة والتشعب.

ذلك البيت مكان يتواجد فيه الحزن والفرح، والغضب والرضى، والشكر والكفر، والمعروف والمنكر، وفيه أيضا الحقد والحب.

بيت واحد يجتمع فيه متنافسون لا يرضى احدهم الا بان يستولي عليه كله، لا يقبل بالشراكة ولا بالهدنة، تنافس محموم لا يكل ولا يمل.

والانسان هو المالك لزام البيت وييده حسم النتيجة لصالح طرف او طرف آخر. بيده من خلال افعاله وتصرفاته الباطنية والظاهرية، من تقوية طرف لحساب طرف، ولكل طرف ثمنه ونتيجته التي تثمر، ومن هنا كان الفلاح وهو يعني الوصول الى النتيجة المطلوبة، والخيبة وهي تعني الفشل عن نيل المطلوب، كل منهما رهين بفعل الانسان "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا () وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا"^{١٢}.

الايمان احد المنافسين الأساسيين، يدخل في معادلة التنافس، مع منافسين آخرين، منهم الحق.

من اهم واخطر منافسي الايمان هو الحق..

الحق بإمكانه ان يستأصل الايمان من اصله ويقتلع من جذوره..

للحق اخوة ورفقاء، وله درجات ومستويات، فمما يدور في مدار الحق هو التباغض، الهجر، التباعد، العداوة، البغضاء، الحق، القطيعة، كلها من واد واحد وهو وادي الحق، وكلها وتعبّر عن درجات حق متعددة ومتنوعة.

إذا كان الايمان نباتا فإن الحقد يقتلعه من ارض النفس.

فما اخطر الحقد! ما أخطره إذ يستأصل الايمان!

يخبرنا المصطفى (ص) عن ذلك بالحديث المعتبر عنه : (قال رسول الله
(ص) : في حديث : ألا إن في التباغض الحالقة ، لا أعني حالقة الشعر ولكن
حالقة الدين)^{١٣}.

النبي الأعظم الصادق المصدق، لا يتكلم جزافا، بالتأكيد كلا، لا شك في
صدق ما يقول ولا شك في حقيقة ما يبين.

فلننظر ماذا قال، يقول: في التباغض الحالقة، حالقة الدين، فكما ان شفرة
تحلق الشعر فتزيله من أساسه فكذلك التباغض يحلق الدين.

صورة مهولة .. ألهذا الحد يكون التباغض مؤثرا، يستأصل الدين!

ثم انظر الى القصة التالية، لنرى الى أي حد كان اتباع اهل البيت (ع)
يتحلون بالمحبة والمودة، وكيف ان ذلك ينتج الفلاح والنجاح في الدنيا قبل
الآخرة، فقد روي الحوار التالي بين الامام الصادق (ع) واحد أصحابه:

(قلت له : إن إخوتي وبني عمي قد ضيقوا علي الدار وألجأوني منها إلى بيت ولو تكلمت أخذت ما في أيديهم، فقال لي : اصبر فإن الله سيجعل لك فرجا، قال : فانصرفت ووقع الوباء في سنة إحدى وثلاثين فماتوا والله كلهم فما بقي منهم أحد، قال: فخرجت فلما دخلت عليه قال : ما حال أهل بيتك؟ قال : قلت له : قد ماتوا والله كلهم ، فما بقي منهم أحد ، فقال : هو بما صنعوا بك وبعقوقهم إياك وقطع رحمهم بتروا أتحب أنهم بقوا وأنهم ضيقوا عليك؟ قال : قلت : إي والله)١٤.

فهذا الرجل المؤمن لم يبغض من تجاوز عليه واخذ حقه، وكان قادرا على ان يستعيد حقه بمجرد الكلام، ولكن الامام نصحه بالصبر، فكانت عاقبته ان استرد ماله واستعاد حقه بصبره، بينما أدى عقوق الآخرين له وقطيعتهم إياه الى بترهم وهلاكهم، وهو مع ذلك كله لازال يحبهم ويرغب بعودتهم حتى لو كلفه ذلك حقه، ولكن المؤمن لا يبغض ولا يحقد.

نعم، قد يجد في نفسه الحقد لتسويل الشيطان، او ضعف ايمان او لحظة غضب وشر، الا ان ذلك الحقد سريع الزوال لا يدوم ولا يبقى، وهذا ما يشير

اليه الامام الصادق (ع) فيما روي عنه بطريق معتبر: (حقد المؤمن مقامه ثم يفارق أخاه فلا يجد عليه شيئاً وحقد الكافر دهره)^{١٥}.

فحتى لو عرض للمؤمن الحق، فانه سرعان ما يزول كما يزول الانسان عن مقامه، ولا يستقر في قلبه ويتأصل فيه كما هو حال الكافر.

ثم ان للحقد أسباباً، فقد يحقد الانسان على من هو اعلم منه او اجمل منه او اغنى منه او اكرم منه او اشرف منه او غير ذلك.

فكيف له ان يكافح الحق وان يزيله من نفسه؟

كلما قوي الايمان ضعف الحق في النفوس.

لأن المؤمن يعلم بما لا يقبل الشك، ويرى بما لا يقبل الريب، بأن الله سبحانه لا يختار لعباده الا ما هو في صالحهم، فقد يختار الفقر لشخص لان صلاحه وفلاحه في الفقر، وقد يختار لشخص الغنى لان صلاحه وفلاحه في الغنى، فهو دائماً يحسن الظن بالله سبحانه.

فيكون محبا للمؤمنين، لا يحقد عليهم، لاطمئنان نفسه بما قسم الله له، ولسعاده بما البسه الله به، غنى او فقراً جمالاً او قبحاً او غير ذلك.

وخلاصة القول هنا، ان ما نشهده من اختلال في الاخوة بين المؤمنين، انما ينشأ بسبب تفاوت درجات الايمان فيما بينهم، وتناسب الحقد وهو من اهم أسباب القطيعة بين المؤمنين، تناسبا عكسيا مع الايمان، ولا يعني ذلك اطلاقا ان اصل الاخوة بينهم محل شك، بل هي حاصلة ولكنها شأنها شأن أي رابطة أخرى تحتاج الى تنمية ورعاية واهتمام.



ثالثا: التشخيص

سألت يوما صديقا لي، اثق بعقله لما جربت فيه حسن التفكير وجودة الرأي وبعد النظرة.

- قلت: هل ترغب ان تشيد بناءً على شاطئ رملي او على ارض صخرية؟
- قال: ارغب في كليهما.
- مستغربا قلت: لم افهم، هل لك ان توضح لي؟
- قال: في وقت اللعب وقضاء الوقت للمتعة والتسلية، ارغب ان اشيد بناءً على شاطئ، وفي وقت الحاجة الى المسكن والمأوى ارغب ان اشيد بناءً على الصخر.
- لا يمكنني في وقت التسلية ان اشيد بناءً على الصخر، ولا يمكنني في وقت السكن ان اشيد بناءً على الشاطئ.
- ان شيدت بناءً على الصخر في وقت التسلية خاب املك، لان ذلك النمط من البناء يحتاج وقتا واموالا ومعدات ولا يناسب التسلية ذلك لأنها محدودة موقته.

و ان شيدت بناءً رمليا في وقت السكن خاب املك، لان ذلك النمط من البناء، لا يصلح للسكن والاستقرار.

كما ان للبناء أنواع وانماط، فكذلك الاخوان هم أنواع وانماط.

و كل نمط هو خيار مهم ومحل حاجة، ولكن في سياقه المناسب له وموضعه الملائم له.

الأخ تارة يتخذ للذة والمنفعة والمصلحة الموقته، وهذا شيء جيد، لان ذلك مما يحتاج اليه المرء.

وأخرى يتخذ للثقة والاعتماد وهذا أيضا جيد، لأنه مما يحتاج اليه المرء.

المشكلة لما يقع الخلط بين النمطين، فنضع المناسب للذة موضع المناسب للثقة او بالعكس، فنصاب بخيبات الامل.

ومن اكثر أسباب الخيبة ان يضع المرء الأمور في غير موضعها ويتوقع منها خلاف واقعها، ومن هنا نجد ان امير المؤمنين (ع) يحدثنا عن أصناف الاخوة:

(الإخوان صنفان : إخوان الثقة وإخوان المكاشرة). إخوان الثقة هم الذين يمكن الركون اليهم والاعتماد عليهم والامن من جانبهم، يبين الامام (ع) ذلك

بقوله: (فأما إخوان الثقة فهم الكُفُّ والجناح والأهل والمال)، هم اذن وسائل القدرة لدى الانسان، ثم يبين كيف ينبغي معاملتهم فيقول: (فإذا كنت من أخيك على حدّ الثقة فابذل له مالك وبدنك وصاف من صافاه وعاد من عاداه واكتم سرّه وعيبه وأظهر منه الحسن ، واعلم أيّها السائل أنّهم أقلّ من الكبريت الأحمر)^{١٦}. هذا فيما يخص اخوان الثقة، وسيمر علينا في حديثنا هذا فيما بعد حقوق الاخوان بشكل اكثر تفصيلا.

ثم يذكر الامام اخوان المكاشرة، والمكاشرة تعني الابتسامة والضحكة، سماهم الامام بذلك نظرا لان اخوتهم لا تتجاوز الابتسامة، ولا يتوقع منهم ان يكون على حد الثقة والاعتماد والركون، مثل هؤلاء الاخوان لا ينبغي ان نزهد فيهم، بل الأنسب كما تحدثنا قبل قليل هو الاحتفاظ بهم لكن دون التوقع منهم فوق حد طبيعة علاقتهم، يقول الامام (ع): (وأما إخوان المكاشرة فإنّك تصيب منهم لذّتك ، فلا تقطعنّ ذلك منهم ، ولا تطلبنّ ما وراء ذلك من ضميرهم ، وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان)^{١٧}

١٦ الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٦٣.

١٧ الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٦٣.

والملاحظ ان الامام ذكر حدين للأخوة، اعلى وهم اخوان الثقة، وادنى وهم اخوان المكاشرة. ومن الطبيعي ان يكون بينهما درجات واصناف، اذ الثقة لها درجات والمكاشرة لها درجات، وما بين الثقة والمكاشرة درجات أيضا.

ومن اهم أسباب اختلال الاخوة بين المؤمنين، هو التورط في الخطأ في التشخيص، من خلال التعامل مع صنف من الاخوان بطريقة لاتناسب ذلك الصنف، كمن يتعامل مع اخوان المكاشرة على انهم اخوان ثقة، او بالعكس.

ومن هنا فضمان اخوة سليمة هو تشخيص وتصنيف سليم للاخوان.

في نهاية هذه الحلقة عزيزي القارئ، دعني أقول بخدمتك:

بأن الطريق لتعزيز الاخوة وتمتينها بين أوساط المؤمنين يمر من خلالنا نحن، انا وانت.

اسمح لي اذن ان ادعوك ونفسي، لنقرر من الان وفي هذه اللحظة ان نعزز عناصر الاخوة حولنا، مع اخوتنا جيراننا ارحامنا زملائنا، مع جميع المؤمنين.

ان نغمر قلوبنا بالمحبة تجاه المؤمنين، وان لا ندع الحقد تجاههم ينشر بذوره وسمومه في اجمل واعز ما نملك، قلوبنا.

الان وفي هذه اللحظة ليكون لنا موقف آخر، موقف يفوح منه طيب
الاخوة وعبق المحبة.

من دون ذلك لن نتمكن ان نعزز مظاهر الاخوة وملاحها في اوساطنا،
بكل صدق، لن نتمكن.

من دون محبة للمؤمنين يبقى الايمان منقوصا.

على امل اللقاء بكم في الحلقة الثالثة، ان شاء الله.

